المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١

مختصر سيرة الرسول

صلى الله عليه وسلم

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله ١١١٥ - ١٢٠٦هـ

راجعه

مجموعة من الأساتذة

طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير
سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

نشر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة

تقديم

لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عندما عقدت الجامعة العزم على إقامة ندوة علمية موسعة عن دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله كان الهدف منها إيضاح حقيقة هذه الدعوة على مستوى العالم الإسلامي وكشف الشبهات التي أثيرت حولها في بعض البلدان الإسلامية وفي ظل ظروف تاريخية معينة.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف سعت الأمانة العامة للندوة إلى:-

(١) التقصي العلمي لكل ماكتبه الشيخ.

(٢) مراجعة إنتاجه على يد جماعة من العلماء الثقات.

(٣) تصنيف هذا الإنتاج وطبعه وتوزيعه.

وقد قامت الأمانة بالبحث عن مؤلفات الشيخ ورسائله المطبوعة والمخطوطة مستخدمة الوسائل الممكنة في كبريات المكتبات في الداخل والخارج وعند أفراد أسرة الشيخ، وبعض الأشخاص الذين لهم اهتمام خاص به وبدعوته ومؤلفاته فجمعت ماتيسر لها من ذلك.

وكونت من بين أعضائها لجنة لتصنيف هذه المؤلفات والرسائل قامت بجهود طيبة في إعدادها لطبعها وتوزيعها على المشاركين في الندوة قبل انعقادها بوقت كاف خاصة من لاتتوفر لديهم مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية، ذلك أن وضع ماكتبه الشيخ رحمه الله تحت أيدي الأخوة الباحثين الذين اشتركوا في الندوة أمر ضروري حتى تكون أبحاثهم مبنية على دراسة لآراء الشيخ وآثاره العلمية.

وبتزويد المشاركين في الندوة بهذه الحصيلة الوافرة أمكنهم التعرف على حياة الشيخ العلمية وحقيقة دعوته. فكانت بحوثهم ذات صبغة علمية موضوعية ومتزنة.

وقد تلقت الجامعة مجموعة من الملحوظات المتصلة بمؤلفات الشيخ رحمه الله، وأولت الجامعة هذه الملحوظات جل عنايتها. بل لقد أعطت لمؤلفات الشيخ رحمه الله اهتماماً خاصاً تمثل في دراستها في اللقاء العلمي المشار إليه وماصاحب ذلك من جمع ماتوافر من مؤلفاته ورسائله ثم طبع مختارات من بحوث ذلك اللقاء وتوزيعها على مختلف الجهات العلمية.

وكان من نتائج توصيات الندوة، وخلاصة الأراء والمقترحات التي قدمت عن مؤلفات الشيخ رحمه الله أن اتجهت الجامعة إلى إعادة تحقيق مؤلفات الشيخ وتمحيصها، فكونت لجنة

علمية لمراجعتها وتلافي أي ملحوظات على ماطبع منها سابقاً وأوصت بإعادة طباعة بعضها مما تدعو حاجة الناس إلى طبعه قبل غيره . .

وقد تفضل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام بطباعة هذه المؤلفات على نفقته الخاصة إسهاماً منه في خدمة العلم، ونشر آثار الشيخ محمدبن عبدالوهاب وتوزيعها على أكبر نطاق. ومشاركة في احتفاء الجامعة بانتقالها إلى مقرها الجديد. جزاه الله خير الجزاء. وجعل صنيعه من الأعمال الصالحة والصدقات الجارية المقبولة. وله من منسوبي الجامعة ومن طلبة العلم كل الشكر والتقدير.

وفق الله الجميع لما فيه صالح الإسلام والمسلمين ونفعنا جميعاً بهذه الثمرات اليانعة من مؤلفات شيخ الإسلام ومجدد الدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب غفر الله له وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً وجمعنا به في جنات النعيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ، ، ، ، ،

مدير جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عبدالله بن عبدالمحسن التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فإن كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام المجدد والمصلح المجاهد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته آمين لمن خير ما ألف في بابه ، فإنه مختصر من كتاب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المؤرخ المشهور ، فإنه كتاب وجيز يعدّ خلاصة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التاريخية ، وقد ضمنه بعض الاستنباطات المقيدة مع ما أضاف إلى ذلك من المقدمة النافعة التي بيّن بها واقع أهل الجاهلية اعتقاداً وسلوكاً ، وما أشد حاجة المسلم وضرورته إلى معرفة هذا الواقع لما تثمره هذه المعرفة عند أولي البصائر من توقي شرور الجاهلية والاهتداء إلى محاسن الإسلام كما في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » كما بين – رحمه الله – حقيقة التوحيد الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وأنه ليس مجرّد التلفظ

بلا إله إلا الله ، بل قـــد يكون الإنسان كافراً حلال الدم والمال وهـــو ينطق بكلمة التوحيد ، وقد استدل على ذلك بأمثلة تقرر هذا الأصل مما جرى في عهد الصحابة كقتالهم لبني حنيفـــة وكتحريقهم للغالية في عليّ رضي الله عنه ، وما جرى كذلك بعد الصحابة كما أجمع التابعـــون على استحسان قتل الجعـــد بن درهم لما جحد صفات الرب مع تلفظه بالشهادة واشتهاره بالعلم والعبادة ، وكما أجمع العلماء على تكفير العبيديين لما ظهر منهم ما يدل على شركهم ونفاقهم مع أنهم يظهرون شرائع الإســـلام ويقيمون الجمعة والجماعة .

ولا ريب أن الضرورة داعيـــة إلى إيضاح هذا الأصل الذي خفي على كثير من الناس حتى المنتسبين إلى العلم منهم ، لذلك اهتم الشيخ بتقرير هذا الأصل وإيضاحه ، وليرد به على من خالفه من أهل زمانه .

هذا ولقد عزمت جامعـــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على إعادة طباعة مؤلفات الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد المقابلة بين ما وجد من النسخ الخطية والمطبوعة واختيار الأفضل منها ، وقد عهدت أمانة ندوة الشيخ إلينا بمقابلة هذا المختصر الذي نقدم له ، وقد قمنا بمقابلة مطبوعتين بمخطوطتين؛ مطبوعة السنة المحمدية بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي وهي المطبوعة الأولى، وقد ذكر أنه اعتمد في إخراجها على أصل قيم محقق للشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، ومطبوعة مؤسسة دار السلام ـــ دمشق ـــ بإشراف الأستاذ محمد زهير الشاويش وهي المطبوعة الثانية، وأما المخطوطتان فإحداهما بخط

سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان بتاريخ ١٦ محرم عام ١٣٤١هـ وهي موجودة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٥١٨ ــ٨٦ وعدد صفحاتها ١٠١ صفحة وفيها سقط من ص ٨٣ إلى ص ٨٨.

والمخطوطة الأخرى موجودة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٤٩ ـ ٨٦ ، وعدد صفحاتها ٢٢٦ صفحة وقد كتب في آخرها « وقع الفراغ من هذه النسخة عصر يوم الثلاثاء ٢٦ من شوال عام ١٢٣٥هـ» ولم يسمّ الكاتب نفسه.

ومن الملاحظ خلو المخطوطتين من المقدمة التي سبق التنويه بذكرها وهي في المطبوعة الأولى ٣٣ صفحة من القطع المتوسط بحرف دقيق ، وفي مطبوعة مؤسسة دار السلام ٤٥ صفحة من القطع المتوسط لكن بحرف كبير ، كما يلاحظ أن المخطوطتين كثيرتا السقط والتحريف وإن كانت القديمة أسلم بخلاف المطبوعتين فإنهما في الجملة سليمتان مع اشتمالهما على المقدمة ومع ما بذل من الجهد في تحقيقهما .

لذلك فقد رأينا أن يكون الاعتماد في طباعة هذا الكتاب على المطبوعة الأولى التي بتحقيق الأستاذ محمد حامد الفقي ، لأنها هي الأصل ، ولأنه اعتمد فيها على مخطوطة الشيخ سليمان بن سحمان وهو العالم الجليل المعروف بالعناية بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة رحمهم الله تعالى ، وقمنا أيضاً بترقيم الآيات في الهوامش وتسمية السور بدلا من ترقيمها في داخل الكتاب ، كما خرجنا ما تيسر من الأحاديث مع بعض التعليقات ، ورأينا أن تبقى تعليقات الشيخ محمد حامد الفقي كما هي وجعلنا الرقم الدال عليها بين قوسين هكذا (*).

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا وعامة المسلمين بهذا الكتاب وسائر مؤلفات الشيخ وغيرها من كتب أهل العلم النافعة والله أعـــلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الرحمن بن ناصر البراك عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

محمد العـــلي البراك

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اعلم رحمك الله ؛ أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك . الذي معرفته والعمل به ؛ سبب لدخول الجنة ، والجهل به وإضاعته ؛ سبب لدخول النار .

ومن أوضح ما يكون لذوي الفهم ؛ قصص الأولين والآخرين ؛ قصص من أطاع الله وما فعل بهم ، وقصص من عصاه ، وما فعل بهم . فمن لم يفهم ذلك ، ولم ينتفع به؛ فلا حيلة فيه . كما قال تعالى « وكم أهلكنا قبلهم من قَرْن ، هم أشَدُّ منهم بطشاً فَنَقّبوا في البلاد ، هل من محيص »(١) .

وقال بعض السلف : « القصص جنود الله » يعني أن المعاند لا يقدر يردها .

فأول ذلك ؛ ما قص الله سبحانه عن آدم ، وإبليس ، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض . ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله . وآخر القصة قوله تعالى : « قلنا ؛ اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة ق .

مني هُدىً ، فمن تبِع هُداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١) وفي الآية الأخرى : « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضَنْكاً – إلى قوله – ولعذاب الآخرة أشد وأبقى»(٢) .

وهداه الذي وعدنا به ؛ هو إرساله الرسل . وقد وفى بما وعد سبحانه ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . فأولهم ؛ نوح . وآخرهم ؛ نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم .

فاحرص يا عبد الله على معرفة هذا الحبل ، الذي بين الله وبين عباده ، الذى من استمسك به سلم ، ومن ضيعه عطب .

فاحرص على معرفة ما جرى لأبيك آدم ، وعدوك إبليس ، وماجرى لنوح وقومه ، وهود وقومه ، وصالح وقومه ، وإبراهيم وقومه ، ولوط وقومه ، وموسى وقومه ، وعيسى وقومه ، ومحمد صلى الله عليهم وعليه وسلم وقومه .

واعرف ما قصه أهل العلم من أخبار النبي صلى الله عليه وقومه ، وما جرى له معهم في مكة ، وما جرى له في المدينة .

واعرف ما قص العلماء عن أصحابه ، وأحوالهم ، وأعمالهم . لعلك أن تعرف الإسلام والكفر . فإن الإسلام اليوم غريب ، وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر . وذلك هو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح .

---

(١) الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة البقرة .

(٢) الآيات من ١٣٣ – ١٣٧ من سورة طه .

وأما قصـــة آدم ، وإبليس ؛ فلا زيادة على ما ذكر الله في كتابه ؛ ولكن قصة ذريته .

فأول ذلك ؛ أن الله أخرجهم من صلبه أمثال الذر ، وأخذ عليهم العهود ؛ أن لا يشركوا به شيئـــاً ، كما قال تعالى : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ؛ أَلَسْتُ بربكم ؛؟ قالوا ؛ بلى . شهدنـــا »(١) ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج ؛ ورأى فيهم رجلا من أنورهم . فسأله عنه ؟ فأعلمه أنه داود . فقال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة . قال : وهبت له من عمري أربعين سنة ، وكان عمر آدم ألف سنة . ورأى فيهم الأعمى ، والأبرص ، والمبتلي . قال : يارب ، لم لا سويت بينهم ؟ قال : إني أحب أن أُشْكَرَ . فلما مضى من عمر آدم ألف سنة إلا أربعين ، أتاه ملك الموت . فقال : إنه بقي من عمري أربعون سنة . فقال : إنك وهبتها لابنك داود . فنسي آدم ، فنسيت ذريته . وجحد آدم . فجحدت ذريته .

فلما مات آدم . بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم ، دين الإسلام . ثم كفروا بعد ذلك . وسبب كفرهم : الغلو في حب الصالحين . كما ذكر الله تعـــالى في قوله : « وقالوا ؛ لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تَذَرَنَّ وداً ، وَلا سُوَاعاً ، ولا يغوث ، ويعوق ، ونَسْراً »(٢) وذلك أن

(*) ولا يزال ربنا سبحانه يقيم الحجة بسننه في الخلق والرزق ، وآياته وكتابه ، ويأخذ العهود والمواثيق . ولكن أكثر الناس عن هذا غافلون ، لأنهم يدينون دين الآباء و والشيوخ فيشركون كما يشركون (٢ : ١٧٠ وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون !) .

(١) الآية رقم ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٢) الآية رقم ٢٣ من سورة نوح .

هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم فماتو في شهر فخاف أصحابهم من نقص الدين بعدهم فصوروا صورة كل رجل في مجلسه ، لأجل التذكرة بأقوالهم وأعمالهم إذا رأوا صورهم ، ولم يَعْبُدُوهم ثم حدث قرن آخر ، فعظموهم أشد من تعظيم من قبلهم ، ولم يعبدوهم ثم طال الزمان ، ومات أهل العلم فلما خلت الأرض من العلماء ؛ ألقى الشيطان في قلوب الجهال ؛ أن أولئك الصالحين ما صوروا صور مشايخهم إلا ليستشفعوا بهم إلى الله ، فعبدوهم .

فلما فعلوا ذلك ؛ أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام ، ليردهم إلى دين آدم وذريته ، الذين مضوا قبل التبديل ، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه ، ثم عَمَّرَ نوح وأهلُ السفينة الأرض ، وبارك الله فيهم ، وانتشروا في الأرض أمماً وبقوا على الإسلام مدة لا ندري ما قدرها ؟ .

ثم حدث الشرك فأرسل الله الرسل وما من أمة إلا وقد بعث الله فيها رسولا يأمرهم بالتوحيد ، وينهاهم عن الشرك . كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أُمّةٍ رسولاً ؛ أنِ اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت»(١) وقال تعالى : « ثم أرسلنا رسلنا تَتْراً ، كلما جاء أُمّةً رسولُها كذبوه — الآية »(٢) .

ولما ذكر القصص في سورة الشعراء ختم كل قصة بقوله : « إن في ذلك لآية . وما كان أكثرهم مؤمنين » .

---

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة النحل .

(٢) الآية رقم ٤٤ من سورة المؤمنون .

فقص الله سبحانه ما قص لأجلنا كما قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . ما كان حديثاً يفترى – الآية »(١) .

ولما أنكر الله على أناس من هذه الأمة – في زمن النبي صلى الله عليه وسلم – أشياء فعلوها(*) . قال : « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ؛ قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم إبراهيم ، وأصحاب مدين – الآية »(٢) .

وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على أصحابه قصص من قبلهم ، ليعتبروا بذلك .

وكذلك أهل العلم في نقلهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جرى له مع قومه ، وما قال لهم ، وما قيل له .

وكذلك نقلهم سيرة الصحابة ، وما جرى لهم مع الكفار والمنافقين ، وذكرهم أحوال العلماء بعدهم . كل ذلك لأجل معرفة الخير والشر .

إذا فهمت ذلك ؛

فاعلم أن كثيراً من الرسل وأممهم لا نعرفهم لأن الله لم يخبرنا عنهم ، لكن أخبرنا عن عاد ، التي لم يُخْلَق مثلها في البلاد فبعث الله إليهم هوداً عليه السلام فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه وبقي التوحيد في أصحاب هود إلى أن عُدم بعد مدة ، لا ندري كم هي وبقي في أصحاب صالح إلى أن عدم مدة لا ندري كم هي؟ .

---

(١) الآية رقم ١١١ من سورة يوسف .

(*) هم المنافقون وما فعلوا في غزوة تبوك .

(٢) الآية رقم ٧٠ من سورة التوبة .

ثم بعث الله إبراهيم عليه السلام ، وليس على وجه الأرض يومئذ مسلم فجرى عليه من قومه ما جرى ، وآمنت به امرأته سارة ثم آمن له لوط عليه السلام ، ومع هذا نصره الله ، ورفع قدره ، وجعله إماماً للنـــاس .

ومنذ ظهر إبراهيم عليه السلام؛لـم يعدم التوحيد في ذريته . كما قال تعـــالى : « وجعلها كلمة باقية في عقبة لعلهم يرجعون »(١) .

فإذا كان هو الإمام فنذكر شيئاً من أحواله لا يستغنى مسلم عن معرفتها . فنقول :

في الصحيـح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم قط . إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله ، قوله : « إني سقيم » وقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار، ومعه سارة، وكانت من أحسن الناس . فقال لهـــا : إن هذا الجبار إنْ يعلم أنك امرأتي ؛ يغلبني عليك ، فإن سألكِ فأخبريه ؛ أنكِ أختي فإنكِ أختيِ في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك فلما دخل أرضَه رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه فقـــال : لقد قدم أرضَك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك . فأرسل إليها ، فأُتيَ بها فقام إبراهيم إلى الصلاة فلما دخلت عليه ، لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فَقُبِضَتْ يده قبضة شديدة فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ، فلكِ اللهُ ؛ أن لا أضرك ، ففعلت ، فعاد فَقُبِضَتْ يده

---

(١) الآية رقم ٢٨ من سورة الزخرف .

أشد من القبضة الأولى فقال لهـــا مثل ذلك ، فعاد ؛ فَقَبَضَتْ يده أشد من القبضتين الأولتين فقال لها ؛ ادعي الله أن يطلق يدي ، ولك الله ؛ أن لا أضرك ، ففعلت فأطلقت يده . ودعا الذي جاء بها ، فقال له ؛ إنك إنما جئتني بشيطان ، ولم تأتني بإنسان ، فأَخْرِجْها من أرضي ،وأعطاها هاجر ؛ فأقبلت . فلما رآها إبراهيم . انصرف ، فقال لها : مَهْيَم ؟ قالت : خيراً . كَفَّ الله يد الفاجر ، وأخدم خادماً » .

قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء(*) .

وللبخـــاري : « أن إبراهيم لما سئل عنهـــا ؟ قال : هي أُختي ، ثم رجع إليها . فقال لا تكذبي حديثي . فإني أخبرتهم : أنكِ أُختي . والله ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك . فأرسل بها إليه ، فقام إليها . فقامت: تتوضأ وتصلي . فقالت : اللهم إن كنتُ آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط عليَّ يدَ الكافر ، فَغَطَّ حتى ركض برجله الأرض . فقالت : اللهم إن يمت ، يقال : هي قتلته . فأُرسِل . ثم قام إليها فقامت تتوضأ وتصلي ، وتقول : اللهم إن كنتُ آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط عليَّ هذا الكافر ، فَغَطَّ حتى ركض برجله . فقالت : اللهم إن يمت يقال : هي قتلته . فأُرسِل في الثانية ،

(*) الحديث عند البخاري في باب « واتخذ الله إبراهيم خليلا » من كتاب أحاديث الأنبياء . ولكن فيه بعض اختلاف في اللفظ . ويقصد أبو هريرة رضى الله عنه العرب ، لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع الفطر لأجل رعي دوابهم . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ٦ ص ٢٧٦) الطبعة الأميرية ، ففيه متمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل . وقيل : أراد بمـــاء السماء : زمزم . لأن الله أنبعها لهاجـــر . فعاش ولدها بها . وقيل : أراد الأوس والخزرج لأن جدهم عمرو بن مزيقياً كان يسمى بذلك . لأنه كان إذ اقحط الناس أقام لهم مقام المطر . ورواه مسلم أيضاً فهو من المتفق عليه عن أبي هريرة.

أو الثالثة . فقال : والله ما أرسلتم إليَّ إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها هاجر ، فرجعت إلى إبراهيم ، فقالت : أشَعَرْتَ ؟ إن الله كبت الكافر ، وأخدم وليدة » .

وكان عليه السلام في أرض العراق . وبعد ما جرى عليه من قومه ما جرى؛ هاجر إلى الشام، واستوطنها، إلى أن مات فيها. وأعطته سارة الجارية التي أعطاها الجبار . فواقعها . فولدت له إسماعيل عليه السلام ، فغارت سارة . فأمره الله بإبعادها عنها . فذهب بها وبابنها فأسكنهما في مكة . ثم بعد ذلك وهب الله له ولسارة إسحق عليه السلام ، كما ذكر الله بشارة الملائكة له ولها بإسحق . ومن وراء إسحق يعقوب .

وفي الصحيح عن ابن عباس قال : « لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان : خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ، ومعه شَنّة فيها ماء . فجعلت أم اسماعيل تشرب من الشنة فَيَدِرُّ لبنها على صبيها ، حتى قدم مكة . فوضعها تحت دَوْحة فوق زمزم في أعلى المسجد — وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء — ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاءاً فيه ماء . ثم قَفّى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل . فلما بلغوا كَداء(*) ، نادته من ورائه : يا ابراهيم ، أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آللهُ أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت إذن لا يضيعنا — وفي لفظ : إلى من تَكِلُنا ؟ قال : إلى الله . قالت : رضيتُ — ثم رجعت . فانطلق إبراهيم ، حتى إذا كان عند

(*) قال الحافظ في الفتح (ج ٦ ص ٢٨٤) بفتح الكاف ممدوداً : هو الموضع الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة في حجة الوداع .

الثنية ، حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه ، فقال : « ربّنا إني أسكنت من ذريّتي بواد غير ذي زَرْعٍ عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة . فاجْعَلْ أفئدةً من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وجعلت أم إسماعيل ترضعه . وتشرب من الشنة . فيدر لبنها على صبيها . حتى إذا نَفِدَ ما في السقاء : عطشت ، وعطش ابنها . وجعلت تنظر إليه يتلَوَّى – أو قال : يَتَلَبَّط – فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه . فوجدت الصفا أقرب جبل إليها ، فقامت واستقبلت الوادي تنظر ؛ هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؟ . فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ؛ رفعت طرف دِرْعها . ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي . ثم أتت المروة ، فقامت عليها . فنظرت ، هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات – قال ابن عباس ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك سعى الناس بينهما – ثم قالت : لو ذهبتُ فنظرت ما فعل ؟ – تعني الصبي – فذهبت فنظرت . فإذا هو على حاله ، كأنه يَنْشَغُ للموت(*) . فلم تقرّ نفسها . فقالت : لو ذهبت لَعَلِّي أحس أحداً ؟ فذهبت فصعدت الصفا . فنظرت . فلم تحس أحداً . حتى أتمت سبعاً . ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ؟ فإذا هي بصوت . فقالت : أغِثْ إن كان عندك خير . فإذا بجبريل . قال : فقال بعقبة على الأرض . فانبثق الماء فذهبت أم اسماعيل ، فجعلت تحفر ، فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عيناً معيناً – وفي

(*) النشغ : الشهيق بشدة حتى يبلغ إلى الغشي من شدة البكاء .

حديثه : فجعلت تغرف الماء في سقائها – قال : فشربت ، وأرضعت ولدها . فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة . فإن ههنا بيتاً لله ، يبنيه هذاالغلام وأبوه ، إن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية . تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رفقة من جُرهم ، مقبلين من طريق كَداء ، فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء . لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جَرِيّا ، أو جريين(*) . فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا ،وقالوا لأم إسماعيل : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم – قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فألفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحب الأنْس – فنزلوا . وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم . حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام . وتعلم العربية منهم . وأنْفَسَهم (*) وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم . وماتت أم اسماعيل . وجاء إبراهيم – بعد ما تزوج إسماعيل – يُطالع تَرِكَته ، فلم يجد إسماعيل . فسأل امرأته عنه ؟ فقالت : خرج يبتغي لنـــا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة . فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجكِ اقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغَيِّر عَتَبَة بابه . فلما جاء إسماعيل ، كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ – كذا وكذا – فسألنا عنك ؟

(*) قال الحافظ في الفتح (ج ٦ ص ٢٨٦) بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء : الرسول . وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير . وقيل : سمي بذلك لأنه يجري مجرى مرسله أو موكله ، أو لأنه يجري مسرعاً .

(*) بفتح الفاء بوزن أفعل التفضيل من النفاسة . أي كثرت رغبتهم فيه .

فأخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته : أنّا في جَهْد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . أمرني أن اقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيِّر عتبة بابك . قال : ذاك أبي . وقد أمرني أن أفارقك . الحقي بأهلك ، فطلقها . وتزوج منهم امرأة أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، فقال لأهله : إني مُطّلع تركتي . فجاء ، فقال لامرأته : أين إسماعيل ؟ قالت ذهب يصيد . قالت : ألا تنزل فتطعم ، وتشرب ؟ قال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء . قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم — قال : فقـــال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : بركة دعوة إبراهيم ، فهما لا يخلوا عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم حب دعا لهم فيه — وسألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله . قال : إذا جاء زوجك : فاقرئي عليه السلام ، ومُريه يُثَبِّتْ عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم . شيخ حسن الهيئة — وأثنت عليه — فسألني عنك ؟ فأخبرته . فسألني : كيف عيشنـــا ؟ فأخبرته أنّا بخير . قال : هل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي . وأنتِ العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ، فقال لأهله : إني مطلع تركتي ، فجاء . فوافق إسماعيل يَبْرِى نَبْلاً له تحت دَوْحة قريباً من زمزم . فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا

بيتاً ــ وأشار إلى أكَمة مرتفعة على ما حولها ــ قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه له . فقام عليه وهو يبنى ، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»[1] .

هذا آخر حديث ابن عباس .

فصارت ولاية البيت ومكة لإسماعيل . ثم لذريته من بعده ، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثروا . وكانوا على الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل قروناً كثيرة . ولم يزالوا على ذلك حتى كان في آخر الدنيا ؛ نشأ فيهم عمرو بن لُحَي . فابتدع الشرك ، وغيّر دين إبراهيم . وتأتي قصته إن شاء الله .

وأما إسحاق عليه السلام ؛ فإنه بالشام . وذريته ؛ هم بنو إسرائيل والروم . أما بنو إسرائيل ؛ فأبوهم يعقوب عليه السلام بن إسحاق ، ويعقوب هو إسرائيل .

وأما الروم : فأبوهم عيص بن إسحق .

ومما أكرم الله به إبراهيم عليه السلام ؛ أن الله لم يبعث بعده نبياً إلا من ذريته ، كما قال تعالى : « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب»[2] وكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحق وأما إسماعيل ؛ فلم يبعث من ذريته إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله إلى العالمين كافة ، وكان مَنْ قبله من الأنبيـــاء ؛ كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وفضله الله على جميع الأنبياء بأشياء غير ذلك .

---

(١) الآية رقم ١٢٧ من سورة البقرة .
(٢) الآية رقم ٢٧ من سورة العنكبوت .